

"جورج رستريبو" الفن من أجل الأطفال والأجداد



بقلم: "دونالدو التاميرانو"

نيجوسى جالبا، ٨ أبريل ٢٠٠٨

تتات المفاهيم الفنية

يعتبر الفنان الكولومبي "جورج رستريبو" بحق فنان القرن الواحد والعشرين. يتضح ذلك في التطور الجذري والعنيف أحياناً في أعمال هذا الفنان البصري مع مرور الوقت. فلم يعد الفنانون في عصرنا هم أولئك الحرفيون من زمن العصور الوسطى الذين يعملون في مرسمهم أو ورشتهم، والمرتبطين بموضوعات ومواد وتقنيات تقليدية محددة، محدودين بمرجعية نماذجهم الكلاسيكية ومحصورون في دائرة الاتصال الداخلية مع زملائهم وتلاميذهم ومساعدتهم وموديلاتهم؛ بل أصبحوا اليوم الباحثون الجريون المثقفون المطلعون على ما

يحدث على الساحة الفنية أولاً بأول حتى أقل الاهتزازات في هذا العالم الواسع من شبكات الاتصالات والتكنولوجيا الرقمية...

أو لربما ينبغي أن نقول أن "جورج ريستريبو" هو فنان يُقرب بين المصالح غير المتجانسة، فنان يخلق مساحات للاستيعاب والتجانس الروحي محاولاً خلق توافق بين المفاهيم التقليدية والمفاهيم الديناميكية التي تشكل حاضر ومستقبل الإبداع البصري.

إن تحليل مجموع أعمال "جورج ريستريبو" يجلبنا لا محالة إلى المصادر الواسعة وإعادة تعريف المفاهيم والنظريات المعروفة حيث يغطي عمله كافة الأشكال الفنية من التعبير التقليدي للوحة العادية المنفذة على حامل الرسم بمساعدة الفرش وألوان الإكريليك إلى الأعمال المفاهيمية البحتة والأداء **Performance**، والأعمال التركيبية في حد ذاتها والعمل الفني الجماعي الجاهز الصنع إلى حد تنظيم حفلة ضخمة مكونة من ٢٤٠ تليفون محمول، مقدماً عرضاً للمعاقين بصرياً، ومعزراً عينة مبتدعة من فن البريد الدولي، إلى عمل سجادة غير تقليدية مصنوعة من نشارة الخشب الملونة من أجل المواكب الدينية أثناء الأسبوع المقدس، محفزاً العديد من الرسامين لعمل أعمال خطية متفردة، وعاملاً على توجيه بلدة بأكملها من النساء ذوات مستوى تعليمي منخفض لتلوين لوحة ضخمة طولها ٩ متر من النسيج وفقاً لتعليماته، ومنظماً معرض للفن المعاصر في سوق مدينة مكتظة بالسكان (مزدحمة مثل أي مدينة في إحدى روايات "بالزاك" **Balzac**) حيث تم استيعاب اللون المجرد في أقمشته الملونة بشكل طبيعي بيولوجياً وعضوياً مع الخضراوات والفاكهة ومحلات البقالة وأكشاك المرطبات ومحلات الجزارة وباعة السمك والأطعمة المقلية في السوق الشعبية.

وبطبيعة الحال فإن كلاً من هذه التعبيرات يكشف عن وجه من أوجه الفنان الداخلية؛ فهذه التعبيرات تشكل ديناميكية الشكل المتعدد السطوح، حيث توجد علاقات متعددة ومعقدة. وكلاً من هذه الجوانب والطرائق المختلفة كانت موضوع لتطور خاص بها. وكنيجة لهذا النشاط المتنوع والتخيل والانتباأ به أصبح بإمكاننا أن نكمل صورة الفنان المركب المليء بالاكشافات والمفاجآت والذي يمثل تعريفها المفاهيمي - أي الصورة- تحدياً ومحنة عندما يحاول النقاد المحليون الغير منظمون أن يستوعبوها ويركبوها (والذي لم يستطع الفنان أن يجر نفسه من تكهناتهم النظرية وعدم دقتهم في التعبير واستنتاجاتهم المتسرعة).

و "جورج ريستريبو" فنان مفاهيمي فائر ومبدع ومذهل، وهو مستكشف الإمكانيات الجهولة، ومبتكر المفاهيم التي يطبقها، ويطور فئات جمالية جديدة مثل الأعمال المركبة **installation** في حد ذاتها، والفن الجماعي **Collective Art**، وفن المسافات **Distance Art**، والأداء **Performance**، والفن الحركي **Artistic Action, Troutville**، لكنه أيضاً من حيث المبدأ مصور عنيد ثابت ومنظم وصل إلى حد الهوس بالنجاح.

٢- حوض سمك زينة أم السعادة التي لا توصف عندما تعرف أنك أصبحت جداً.

الإبداع وكل العملية الإبداعية (الله يعرف ذلك أفضل من أي شخص آخر ولن يسمح لي أن أكذب) هي دائماً لعبة، مجرد لعبة، بصرف النظر عن حقيقة أنه أثناء اكتشافها لنا فإنها تميل إلى أن تجرنا إلى عواقب لا يمكن التنبؤ بها.

وفي نفس الوقت إن استيعاب هذه التعبيرات المجردة يحتاج حساسية وقدرة على الخيال أكثر من الاحتياج لسعة المعرفة، وثبت هذا من خلال الرحلات الإبداعية للتجريد في العصر ما قبل الكولومبي، وينبغي لنا أن نستفيد من الأمثلة الوفيرة ومجموعة التصاميم المتنوعة في خزف نازكا **Nazca** من مرتفعات آندي **Andean**، وللاستشهاد بأمثلة أقرب من ذلك نجد الخزف القمري من برزخ ريفاس **Isthmus of Rivas**، وشبه جزيرة نيكويا **Nicoya** في أمريكا الوسطى.

وقد قرر "جورج ريبستريبو" أن يقدم لنا في معرضه الاستهلاكي في قاعة كوديكس **Codex** على ضفاف بحيرة زولوتلان **Xolotlán** مجموعة من الأقمشة الملونة ذات التصاميم القوية المجردة التي أهداها ووجهها في المقام الأول إلى الرضع سكان ماناجوا **Managua**. وهذا الكرسي الذي يبدو متحيزاً يمكن يكون متناقضاً أو على الأقل متضارب. وهذه ليست المرة الأولى التي يمثل فيها روح الأطفال والشخص الكوني الدافع الحاسم والعنصر الفعّال في عمل هذا الفنان الكولومبي. ويمكننا أن نشير إلى سابقة لذلك: "ألفاز لإميليو" **"Puzzles for Emilio"** وهي مجموعة من ١٦ لوحة تجريدية رُسمت بحِمامة الأكريليك بمناسبة مولد أول حفيد له، وهو عمل قدمه الفنان في مختارات للفنون التشكيلية في هندوراس في طبعتها عام ٢٠٠٤. وكونه أصبح جداً فقد ألهمه ذلك بعض الجوانب الإبداعية الاستثنائية تماماً كما قال الشاعر "فيكتور هوجو". وبالإضافة إلى ذلك هو التحذير الملائم الذي أعطانا إياه الإنجيل مشيراً إلى ضرورة عودتنا للطفولة كشرط مسبق لدخول ملكوت السموات.

ويمكننا أن نلاحظ من أول وهلة في هذه الأقمشة التي يعرضها الفنان الآن في نيكاراغوا ولكن بحماسة مدققة رقصة حشد من العناصر الفضفاضة، شبكة ضيقة من الخطوط المتقطعة، لحمت في قماش متعددة الألوان، أشكال هاربة هائمة. تكوين مجرد مسلي في إحاءات و استدعاء للعلاقات، في استحضار القياسات أكثر من اهتمامنا بتحديد الأشكال أو الأشخاص الطبيعيين أو المخططات الاصطناعية.

وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن هذا العمل التوحيي يمثل اللمسة الأخيرة لمجموعة من التجارب المطولة بدءاً من صياغة اللحمت والأجزاء الهندسية، والتضاد اللوني والنظام اللعوب الذي يملأ مرحلة متأخرة في اتجاه الفنان السابق. ونلاحظ في المقام الأول أن هناك في

هذه المرحلة الأخيرة تمزق التكوين الهندسي الصارم، وعدم التقيد بضربات الفرشاة الرباعية الزوايا، والنظام المستقر للمستويات الرأسية والأفقية. وفي الواقع فقد دخلت عناصر أخرى لتحديد اللعبة، فنحن نجد الهيمنة البنائية للخطوط المنحنية، والإيقاعات الملوحة، والإيقاعات المتصاعدة، والقوى الجاذبة والطاردة التي تجمع جزئيات لا حصر لها، وبالإضافة إلى ذلك وجود نقاط بأحجام مختلفة تقدم دعامة أساسية لازمة للطباق (التي تستحق التناقض) من أجل حركة الكتلة الكلية.

٣- للأطفال في أعوامهم الأولى والثانية والثالثة

وقد يكون المصدر المقترح للنظارات ثلاثية الأبعاد مجرد نزوة لإلهاء الرضيع، مما يغري حدود المبالغة مع لعبة المخترع، وإلى حد ما هي كذلك، فالنظارات جزء من لعبة ممتعة تتحدانا فيها هذه اللوحات لإنقاذ الرؤية الطفولية التي ينبغي أن تبقى دون مساس في الذاكرة الخلفية للكبار وسط عالمهم الجاد.

ولكن يكمن وراء هذه اللعبة شيء آخر، فلاحظ دون اهتمام متحيز أنه بمساعدة النظارات إلى جانب البروز **Relief** الغير عادي وتقدير العمق الملموس الذي أُغْرِقت فيه التكوينات فإنه يتكشف لنا الإستراتيجية البنائية التي أوصلت تلك اللوحات لهذه الصورة النهائية. وكل تكوين يتكشف لنا كنظام متداخل من الهياكل المتراكبة. ثم توتر واضح بين نواقله، بعض طبقات الطلاء تكسر توازن الطبقات التي أسفلها، تماماً كما في النظام المتداخل للطبقات الجيولوجية أو في الغلاف الجوي، والنتيجة النهائية هي نسيج من الطبقات التي يتضاد ويتوازن تنوعها، على غرار نظام متوازن للقوى المتسلسلة. وهناك نظام للمحيط الحيوي التي تسكنه ضربات الفرشاة، تطابق متناغم من العناصر المكملة للون، رقعة من الطيور أو الفراشات، رقصة لأسراب من الأسماك، شعاب مرجانية، جراثيم عابرة للقارات، سلسلة من حبوب اللقاح والغبار النجمي، يتبعها بالقصور الذاتي سرب من المذنبات الغير مرئية، وتوهج فصائل نباتية غير معروفة.

ولكننا نلاحظ أيضاً أن هذه الخطوط الهيكلية والخطوط الحسابية المنفصلة و الخطوط المتقطعة التي تعدل إصرار البحث البصري تنظم رحلة لأنظارنا.

وعلاوة على ذلك فإنه ليس من الضروري المضي قدماً، فالإجاءات العضوية هي كذلك تماماً، فإن شاعرية الفراغ المتجمعة تقتضي أن تُحْتَجَز كل القياسات على عتبات الشبّه **Similitude**، هل هذه لوحة تحررت من طغيان النهايات الرمزية الصارمة والمقتضيات الشكلية للواقع سريالية كانت أم واقعية فوتوغرافية؟ فمن الضروري إدراك واستيعاب هذه الأعمال بدون قيود أو أحكام مسبقة، وهذه هي ميزة العقل المنفتح للطفل.

وقد نتساءل: لماذا يُقَدَّم مثل هذا الفن المعقد للأطفال؟ ونحن لا نتوقع إجابات موحدة إلا أننا نشير إلى أن هذا التوجه الجديد للجمهور يشكل جزءاً من استراتيجيات المشمولات التي تميل إلى دمج مجموعة من القطاعات الاجتماعية التي جرت العادة على اعتبارها غافلين عن

عملية الفنون ونبذها لاستبعاد ضمني ودود، وكان لهذه المبادرة الجريئة بتوجيه من "ريستريبو" سوابق جديرة بالذكر: الفن من أجل المعاقين بصرياً، والفن من أجل الناس العاديين في الأسواق، الفن من أجل المراسلين المتحمسين لبطاقات الكريسماس، الفن من أجل مستخدمي الهاتف الرقمي المتعجلين. ونتيجة لذلك وخلال هذا السياق خاصةً: الفن الموجه للضمائر الحية والتقبل الرقيق.

معرض للأطفال حيث كان إدراج الآباء والأمهات والأعمام والعمات والأجداد عنصراً مكماً لا غنى عنه أكثر من كونه مجرد إمكانية. وقد تجرد الكبار ذوي العقلية المفتوحة والضمير النظيف والنظرة الغير ملوثة والذين حافظوا على قدرتهم على التمتع بنضارة ونقاء هذه اللعبة الفكرية الصحية من ادعاءات الشكلية المثيرة للغضب.

وفي نيكاراجوا حيث أظهر أقوى شعرائنا المحليين تقبل خاص لتحريضات الفن وقدره غير عادية على التحاور مع عالم الشكل واللون وضربات الفرشاة (نتذكر الإخباريات والمقالات الفنية لـ "روبن داريو" وتجديدات "بابلو أنطونيو كوادرا" لوحات من الخزف من العصر ما قبل الكولومبي؛ واللوحات الجدارية الأمريكية وغيرها من مجموعات الوحوش وبقايا "كارلوس مارتينيز ريفاس" والهوايات التشكيلية المتعددة لـ "ليزاندرو تشافيز ألفارو" والتعليق النقدي الذي وضعه "ألفارو أورتيتشو" وما إلى ذلك) فبالأكيد سوف تجد أجراً عروضا وابتكارات "جورج ريستريبو" المناخ الملائم والتربة الخصبة والبيئة المناسبة، ولسوف تثير استقبالاً حماسياً تماماً مثلما سيحدث لزراع الفنان المنظم للمصادر وتوظيفه للتقنيات والأساليب التقليدية. أما الآن فدعونا نرحب به ونحبه بحب، دعونا نستقبله بحماسة، فقد أراد من كل قلبه وبمنتهى الود والتكافل الإنساني أن يشارك أطفالنا في كل الأعمار مجهوداته الحماسية، واهتماماته المتطرفة وحماسه الإبداعي اللانهائي.

Translated by: Wafaa Shohdy - PHD in history of art -

ترجمة: وفاء شهدى

دكتورة فى تاريخ الفن

Jorge Restrepo: Art for Children and Grandparents

Donaldo Altamirano

Tegucigalpa, 8 April 2008

www.jorgerestrepo.com